

التحول في الخطاب الشعري عند الجيل الجديد في الجزائر الشاعر يوسف وغليسي أنموذجا

The transformation in the poetic discoudiscourse of the new generation in Algeria poet Youssef Ouaghlissi model

تاريخ الاستلام : 2019/07/18 ؛ تاريخ القبول : 2019/09/07

ملخص

الشعر خطاب فني وخلق أدبي لا غاية له سوى التعبير الجميل عن الذات في لحظة الكشف والرؤية ، يأخذ لونه وطعمه ونكهته من واقعه المعاش من خلال تجارب وحالات نفسية تترجم في قوالب مختلفة يختارها الشاعر. والخطاب الشعري متغير بتغير حركة الزمن التي لا تتوقف لتغير قضايا الحياة والكون فهو يختلف من حقبة إلى أخرى بحيث لكل حقبة مجموعة شعرية خاصة تنبت في أرض معينة وخاصة بتجربتها الشعرية ، وهذا يظهر جليا في حديثنا عن تطور الشعر الجزائري وتحوله مع تطور الحياة وأحداثها على يد الجيل الجديد المتمثل في الشاعر يوسف وغليسي من خلال مدونته الشعرية.

الكلمات المفتاحية: التحول ؛ الخطاب الشعري ؛ الجيل الجديد ؛ الشاعر يوسف وغليسي.

* حليلة واقوش

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية
جامعة الإخوة منتوري
قسنطينة

Abstract

Poetry is a technical speech and literary creation is not only a beautiful expression of the self at the moment of disclosure and vision takes color taste and flavor of the reality of the pension through the experiences and psychological cases translated into different templates chosen by the poet. The poetic diiscourse is changing with the canging movement of time that does not stop to change the issues of life and the univese . It differs from one era to the next so that each epoch has a special poetic group that grows in a certain land and especially in its poetic experience This is evident in our discussion of the development of Algerian poetry and its transformation with the evolution of life and events by the generation the new poet Youcef Ouaghlissthrough his poetic blog.

Keywords: transformation ; poetic discoudiscourse; new generation; poet Youssef Ouaghlissi.

Résumé

Lapoésie est une forme discursive et une création artistique qui a pour seul but d' exprimer ses sentiments au moment de révélation ,qui puise sa couleur , son gout et sa saveur de sa réalité vécue à travers de multiples expériences poétiques exprimées différemment par cet artiste selon sont état d esprit . Le discours poétique s'est constamment renouvelé au cours des siècles avec des orientations différentes selon les époques , chacune de ces époques a son propre « recueil de poèmes » dépendant de la civilisation et de la culture qui y règnent, et des individus qui y vivent.

Cela s'est clairement manifesté lorsque j'ai abordé l'évolution de la poésie algérienne transformer par la nouvelle génération sur tout chez YUCEFOUAGHLISSI en ai un bel exemple dont l'œuvre poétique incarne.

Mots clés: transformation; discours poétique; nouvelle génération; poete YoussefOaughlissi.

* Corresponding author, e-mail: halima.ouakkouche@umc.edu.dz

تمهيد:

يمثل الوجود بالنسبة إلى الإنسان لحظة تحول من حيث تفكيره وتعاطيه للأشياء وهو ما يشير في كثير من الأحيان إلى تغيير على المستوى اللساني في خطابه ومساراته الحياتية ، انطلاقاً من هذا كان لابد أن يطرأ تغييرات في الدلالات اللسانية ، وهذا يخضع إلى الاختلاف في الزمان و المكان .

إنّ للزمن أثراً كبيراً في إحداث التغيير السريع للدلالات اللسانية بكيفية أقل أو أكثر حيث هناك دلالات تثبت و أخرى تتغير و " الدلالة تكون في حالة تغيير وتبدل لأنها تستمر وتتصل والذي يتغلب و يسود في كل تغيير هو دوام الأصل القديم " (1)

- تعريف التحول والتغيير :-

إنّ مبدأ التحول والتغيير الدلالي يتأسس أساساً على مبدأ الاستمرار فعندما نتحدث على التحول يقودنا ذلك إلى التفكير إما في التغييرات الفونيطيقية الصوتية الطارئة على الدال و إما التغييرات في المحامل والمعاني التي تلحق لصور المدلول لكن " هذه النظرة قاصرة و غير كافية وأياً كانت عوامل التغييرات وأسبابها سواء أثرت فرادى أو مجتمعة متحدة - فإنها تؤدي دائماً إلى تحويل العلاقة بين الدال والمدلول " (2)

وكمثال على ذلك نجد اللفظة اللاتينية " Necare " الدالة على القتل أصبحت في اللغة الفرنسية تدل على فعل الغرق " Noyer " بالمعنى المعتاد، فالتغيير والتحول هنا كلي من الناحية السمعية الصوتية وكذا التصويرية هذا مقارنة مع الكلمة اللاتينية " Necare " حتى وإن كان التغيير جزئياً مقتصرًا على الدال فإنه بالضرورة يقود إلى تحول و تبدل العلاقة بين الدال والمدلول.

نجد أن هذا التحول والتغيير أمر لا بد منه في اللغة سواء أكان وقع على الدال أو المدلول ، فالتغيير والتحول كلاهما يؤدي بالضرورة إلى تحول العلاقة بينهما لهذا ألح " سوسير " على اعتبارية الدلالات ، بمعنى لا قانون ولا ضابط يضبطهما و إنما هو مجموع الناس " العقل الجمعي " وما اتفقوا عليه تحت تأثير جميع الفاعلين الذين قد يمكنهم أن ينالوا إما من الأصوات وإما من المعاني ، وقد كان هذا التطور محتوماً فلا يوجد مثال واحد للسان قاوم هذا التطور الجمعي " (3)

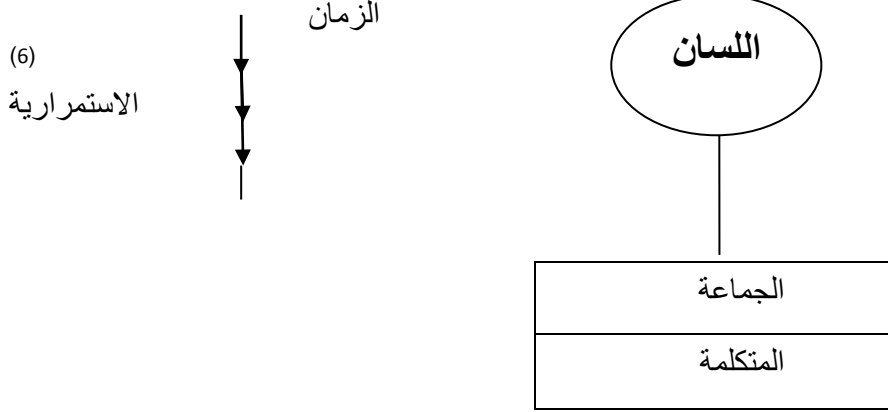
من هنا لا يصدق كل من يدعي أنه بإمكانه أن يصنع لساناً ثابتاً و مستقراً .
"إن استمرارية الدلالة في الزمان باقترانها بالتغيير والتبدل داخل الزمان هي مبدأ العلم الدلالة العام " (4)

إنّ اللسان متعلق بمجموعة بشرية " جماعة متكلمة ، هذه الجماعة خاضعة لتأثيرات خارجية خاصة اجتماعية و ثقافية تسمح بدخول ألفاظ أو حتى تغيير ألفاظ كانت مستعملة، من هنا يتأكد أن اللسان لا يكون حياً فقط وإنما يكون متمتعاً بالنمو والتطور " (5)

فاللسان له علاقة بالزمان والجماعة المتكلمة هذا ما يجعله خاضعاً لمبدأ التغيير والتحول حسب الزمن الذي تعيشه تلك الجماعة.
فكلاهما " الزمان والجماعة المتكلمة " لا يمكن لهما الانفصال عن اللسان فلو كان اللسان في معزل عن الجماعة المتكلمة به كافتراضنا شخصاً يعيش لوحده فمن الممكن أننا لن نلاحظ أي تغيير ، كما أن الزمان لن يؤثر عليه.

هذا نفسه نلاحظه لو أننا اعتبرنا الجماعة المتكلمة بمعزل عن الزمان لن نرى أيضا أي قوة اجتماعية محدثة للسان.

والمخطط التالي يؤكد صدق ما نقوله :



من هنا يتأكد أن مبدأ الاستمرارية ينفي الحرية على اللسان فهو خاضع للجماعة المتكلمة المتماشية مع زمنها ، فمبدأ الاستمرارية مبدأ يقتضي بالضرورة التغيير وهو ما نعني به تحول العلاقات ونقلها قل ذلك التحول أو كثر . إن الخطاب الشعري في معظم تعريفاته عبارة عن نص جاهز والنص فضاء مفتوح على عدة احتمالات أو تأويلات تتجاوز بذلك اللحظة الآنية فهو مشاهدة نورانية إستشراقية لما لم تكتشف بعد ، للوصول بذلك إلى جوهر و روح الفكر الفيض.

فالنص الحدائي لا يسعى إلى تحليل و تفسير الأشياء بل يسعى إلى اكتشاف عوالم المجهول فهو " يطلق سهما ناريا في قلب الليل أو في قلب المجهول ليثير القلق الذي ليس بعده قلق (...) فبعدهما كان الشعر تعبيراً عن العالم أصبح يتكلم العالم " (7)

فالنصوص الأدبية خاصة الشعرية أصبحت تحدث حميمية وجدانية بينها و بين المتلقي الذي يفسح المجال أمام الاحتمال والاستكمال، وهذا ما يسمى بـ " التأويل " أو " الرؤية " هذه الأخيرة التي قامت بتنظيم قانون الدلالة في القصيدة الشعرية لأن الرؤية بطبيعتها لا منطقية تخيلية .

- التحول والرؤية الشعرية :-

إن الرؤية تساوي الكشف في بحثها عن اليقين والذي يعتبر غاية العمل الإبداعي حيث أن الغرض من هذا اليقين إحداث حالة قلق مستمر تنتقل من الشاعر إلى المتلقي كما قال " نزار قباني " " الشاعر يشعل عود الثقاب و ينصرف " هذا ما أدى إلى تحول الخطاب الشعري عامة والجزائري خاصة من شعر تلقيني مباشر إلى شعر إثارة واستفزاز للقدرات المعرفية- بالطبع للقارئ - مؤديا إلى لحظة دهشة تثار في المتلقي، حيث هذا الأخير لا يقف مكتوف اليدين وإنما يعيد بناء نص آخر وفق رؤيته و تأويلاته لأن الخطاب الشعري بعد التحول " أصبح عبارة عن شفرة إشارية لها قواعدها الخاصة وقدرتها على فصل العلاقة بين اللفظة و معانيها لتستأنف دلالات

و معاني جديدة تستقيها من بنائها النصي الخاص، و بالطبع هذا ما يحتاجه شعرنا الجزائري المعاصر خاصة في مهده ، فالنبض الفكري التأويلي للقارئ من شأنه أن يغذي بنية النص جماليا بدلا من الاستقراء المباشر المؤلف سابقا.
لهذا فالخطاب الشعري عامة والجزائري خاصة يقوم على تعزيز فعل القراءة والتحليل قصد الكشف عن دلالات مغمورة جديدة ، وينتج أفقا من القراءات والتأويلات.

- تحولات الشعر الجزائري :

تكمن شعرية النص في إنتاج المعنى و ما يدمج فيه الشاعر مع عالمه الكشفي هذا ما يسمح بوجود قراءة تأملية إبداعية تعيد بناء نص آخر " نتيجة لاختزال التساؤلات التي تحملها دلالة النص الأول (....) و هو الأمل المنشود لكل نص يرغب إلى أن يززع كيان الذات ويداعب ذائقة المتلقي فيما يخلفه من قارئ جديد بولادة جديدة " (8) حيث أصبح النص (يتكلم العالم) هذا ما جعل الشاعر الجزائري المعاصر يبحث عن التغيير والتحول ذلك لأنه أصبح يشاهد الأشياء بعين الفكر ، ينظر إلى ما هو حوله بتمعن وتدقيق فكري دون شهوات أو أحاسيس غير مضبوطة ما دفعه لرفع دعوة شعارها التجديد والتغيير (تحديث النص الشعري) .

لكن هذا لم يمنع الشاعر المعاصر من استلهاه الماضي والانجذاب للتراث ذلك بالعمل على تأكيد مصدر الرؤيا الذاتية للتعبير على العالم الباطني الداخلي وذلك من خلال الاستجابة الوجدانية لمخزون هذا التراث البشري.
ومن ثمة فارتباط الشاعر الجزائري المعاصر بتراثه دليل معرفي يقيني لإعادة تركيب هذا الموروث و بعثه من جديد بما يتناسب و مقومات وجودنا والدراسات الحديثة المعاصرة.

وقد مرّ الشعر الجزائري بعدة مراحل منذ نشأته ، وكانت أولى هذه المراحل مرحلة تقليد و محاكاة متأثرا بالثقافة المشرقية حيث نسج الشعراء قصائدهم على منوال القدامى "شكلا"، فالقصيدة العمومية كانت قالبا يفرغون فيه تجاربهم النقدية ، لكن ظل المضمون مجسدا لأحلام الناس و مرتبطا بقضايا العصر.

بعد جيل الثورة أول جيل كتب بأحرف من ذهب عن تاريخ الأدب الجزائري من خلال أطروحته التي أرخت للوطنية وخضعت السياسة الاستعمارية المريرة .
وفي بداية مرحلة الاستقلال و نهاية الستينيات لاحظنا جفاف الأقلام وقلة العطاء وأن الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة لم يكن بذلك الوهج والتألق لأسباب كثيرة حيث بدأ كثير من الأدباء يعيدون و يجترون ما كان موجودا على الساحة الأدبية ، وهذه حالة طبيعية لشعب عانى الاستعمار مدة قرن و نصف تقريبا و كأنه في حالة تيهان و فراغ بعد الاستقلال مباشرة.

لكن و مع بداية السبعينيات تغيرت الأمور ، حيث كان للإيدولوجية دور كبير في دفع عجلة الحركة الإبداعية ، إذ احتلت مساحة واسعة من الكتابة لا سيما السردية ، فكان للرواية حظ أوفر عن غيرها من الأنواع الأدبية.

إن الراهن الجزائري في فترة السبعينيات جعل من المبدعين الجزائريين رهن الإيدولوجية المهيمنة ، فجاءت تعابيرهم الشعرية مجسدة لهذا الحراك الاتباعي والسياسي الشيء الذي أدى إلى أن يصبح العمل الإبداعي مرتبطا أكثر بالأفكار والإيدولوجيا على حساب الجوانب الجمالية للنص الأدبي ، فأصبح الشاعر " مجرد متحدث فقط ينقل حكايات الواقع بأسئلة الإيدولوجي المباشر لا بأسئلة الإبداع والفن " (9)

أما إذا انتقلنا إلى الثمانينيات فإن هذه الفترة قد شهدت تحولات لافتة على جميع المستويات ، مما أنتج الفرصة للمبدعين أن يجدوا الفضاء الطبيعي للكتابة دون قيد أو شرط ، فاندفع الشعراء إلى التخلص من الهيمنة الإيدولوجية التي كانت مسيطرة على توجه الإبداع في السبعينيات و وجدوا في هذا الانفتاح الاقتصادي والتغيير في المسار السياسي فرصة للتعبير عن إحساسهم و مشاعرهم بعيدا عن رقابة السلطة السياسية.

بناء على هذا التحول على الصعيد السياسي فقد نتج عنه تغيير في الأشكال التعبيرية إذ تعالت الأصوات الشعرية الشبابية الجديدة معبرة عن ذواتها من خلال هذه الأشكال الفنية الجديدة والتي تتلاءم مع الواقع الجديد المؤيد لكل فعل تجديدي أو دعوة تحديثية في ظل تراجع للأشكال القديمة ، وهذا لا يعني أن هناك تصادما بين الرؤيتين أو الموقفين بل هناك تكامل بينهما ، فالشاعر يكون حدثا تارة و محاكيا للقوالب الشعرية القديمة تارة أخرى ، و ربما هذا ما عزز التجربة الشعرية عند جيل الشباب في هذه الفترة، إذ و مع " نهاية الثمانينيات و بداية التسعينيات والتحويلات طرأت على البنى الفكرية والثقافية و السياسية والاقتصادية و ما ترتب عنها عرف المشهد الشعري الجزائري - خاصة - عدة تحولات في البنية والشكل ، و ظهر خطاب شعري يواكب التغييرات والتحويلات في الجزائر والعالم العربي ، مع جيل جديد أظهر تحكما في الأداة الفنية،وبعدا على الشعارتية

والتبعية للآخر - السياسي - مستفيدا من الموروث الشعري السابق و محاولا التأسيس لنص شعري جزائري يحمل الخصوصية الذاتية والوطنية " (10) وتعد هذه الفترة - ما بين الثمانينيات والتسعينيات - من أخصب الفترات الشعرية "عطاء شعريا في القرن العشرين ، إذ برز فيها أكثر من أربعين شاعرا و شاعرة ، وإذا كانت فترة الستين والسبعين بتبني القضايا الإيدولوجية أساسا في الكتابات الشعرية ، فإن هذه الفترة كثيرة التنوع في الأفكار والقضايا المطروحة (...) و أكثر من ذلك فإن الشعراء الثمانين والتسعين لا تجمعهم جامعة واحدة كما كان الشأن في الفترة السابقة لعهد الإستقلال " (11) حيث " كانوا يحملون بذور تجربة حدثية فkra و كتابة " (12) بمعنى حب التغيير فوظف هذا الشاعر المبدع المعاصر لغة بسيطة متداولة تكمن صعوبتها - إن كان إحتمال الصعوبة واردا - في الخلفيات الفكرية الفلسفية والمنطقية و حتى الصوفية على الرغم من توظيفها سالفا - خاصة في شعر الأمير عبد القادر . إلا أنها وظفت باليات حديثة وأساليب فنية جديدة ندخلها حيز ما يسمى بالحدثية.

- مفهوم الحدثية الشعرية :-

وهي ممارسة شعرية و بحث عن الحقيقة ، حيث تربط صاحبها إرتباطا وثيقا بالجديد الذي بإمكانه أن يساعده على قضاء حاجاته الكثيرة والتي ربما أصبحت لا تنتهي في عصرنا ، حيث تعد هذه الفترة هي محور الإنطلاقة الشعرية الجزائرية نحو الحدثية ، جاءت من أجل الإرتقاء بمستوى القصيدة من حيث المبنى و كذا المعنى بحثا عن الذات والمكانة اللانقطة بها. فراح الجيل الجديد يتحدث عن " الأنا " ليصل إلى " الأنا الآخر " عكس جيل التسعينيات المؤدلج للإشتراكية ، حيث يمكن ملاحظة الفرق الشاسع بين شعر الشباب و بين سابقه من الشعر الجزائري فهو ليس الثوري بنزعه الوطنية ولا الإيدولوجي المسير بأبعاد سياسية و ثقافية ولغوية إنما هو حدثي حيث أن التجديد لم يقتصر على الشكل فقط و إنما أقحموا حتى في لغتهم الدراما والرمز و الأسطورة

وإن بحثنا عن جذورها - الحداثة - على أنها تغيير و تحديد و ذلك بالتوفيق ما بين السائد والقديم كمحاولة لتجاوزه و تعديله وجدناها ضاربة في التاريخ منذ أن حصل " أبو نواس " في العصر العباسي راية التغيير والتجديد وذلك بكسر مود الشعر القديم.

ولعل هذه الدعوات العباسية لمثل هذا التغيير والبحث عن الجديد الموافق للعصر و ظروفه المختلفة سواء على يد " أبي نواس " أو غيره فهي من صميم الحداثة كما " أن محاولة المدرسة الفيضانية الصوفية تجاوز النفا التفسير المقدمة سلفا بخصوص النص القرآني ، و محاولتها تقديم البديل المرجعي في عملية الكتابة يعد من صميم الحركة الحداثوية التي نشأت متأخرة لدى الغربيين " (13) وهي تؤمن بأن " المرء يبصر بقوة البصيرة مالا يراه بحدة البصر " (14) أي لكل فرد رؤيته وموقفه الخاص .

وقد كانت هذه التجربة الشعرية الجزائرية الحداثية دفعا نحو التطور ، فالقصيدية لم تعد مجرد نص يستدرج القارئ بين أكنافه بل أصبحت تقمحه في العمل الأدبي كمؤلف جديد له من خلال استنطاق أفكاره و تأويلاته ، حيث كان للتراث القديم الدور الكبير في بعث هذه الحداثة نحو الأمام ، فالشاعر الجزائري المعاصر مؤمن بأدب راهن يتبنى القديم " الأصالة " و متفتح على الجديد " المعاصرة " .
ومن بين صور هذا الإيمان أننا وجدنا للشاعر الواحد قصائد منظومة في الطراز القديم وكذا في الجديد "الشعر الحر" ، هذا ماجسده شاعرنا "يوسف وغليسي" وما يؤكد أيضا تأثر هذا الجيل الجديد ب"الصوفية".

- ملامح الصوفية في شعر الجيل الجديد :

أسهمت الصوفية إسهاما كبيرا في التأثير على الخطاب الشعري عامة والجزائري خاصة أمثال : " شطحات الحلاج " و " ابن عربي " و " السهر وردي .. " ما ساعد على بعث عملية التجديد والتغيير وبذلك التحول ورفض النمطية والانطواء على الثابت السكوني .

إن التجربة الشعرية الصوفية في عرفنا العربي الإسلامي ما هي إلا مجموعة تجليات وجدانية مؤيدة بأطوار روحانية سلكها مجموعة من الشعراء يعملون جاهدين على المرور بالتدرج في الزهد حتى بلوغ المقاصد المتوخاة في النقاط الآتية :

- الحب الإلهي

- التغني بالذات الإلهية والفناء فيها

- رؤية الجمال المطلق وتجليه في مظاهر الطبيعة والكون (15)

وبمجيء العصر الحديث بتعقيداته الحضارية ولتغيراته التي لا حصر لها ما بين أمور سياسية وأخرى اجتماعية ثقافية تغير مفهوم التصوف ، حيث أصبح له علاقة لما هو مادي ملموس أكثر مما هو روحي غيبي ، فقد تحول حب الذات الإلهية إلى حب الوطن إلى حب الحرية إلى حب المرأة وغيرها من الأمور العالقة في فكر المبدع الواقعي الحضاري.

وفي ظل المفهوم المحدد سلفا يمكننا الحديث عن ثلاثة شعراء من العصر الحديث يراهم الكثير من الباحثين الأساس المشكل لتجربة صوفية حديثة في الشعر الجزائري "أما أولهم وأكبرهم سنا فهو محمد العيد آل خليفة لقد عاصر الجزائر بأزماتها المختلفة التي تشكلت في ظل استعمار فرنسي تلاه جهاد نوفمبر الذي خلص الجزائريين من الذل والاستعباد ، ثم زمن الاستقلال ... ويأتي بعد محمد العيد الشاعر مصطفى الغماري صاحب الرؤية

الإسلامية والأستاذ الجامعي الذي عاصر زمن الاستقلال... أما ثالثهم فهو ياسين بن عبيد شاعر شاب ، عاصر القصيدة العربية الجزائرية منذ مطلع الثمانينيات... جاءت وفق المعاناة الفكرية والروحية التي أهلتها لأن يكتب قصيدة التصوف الغارقة في عالم الشهود... " (16) هذا ما أدى إلى تأثر الكثير من الشعراء المعاصرين الشباب بهذه النظرة الصوفية الجديدة الممجة للوطن وغيره أمثال: "عثمان لوصيف" "مصطفى نحية" ، " عبد الله حمادي" ، " أحمد عبد الكريم" ، " الأخضر فلوس"

فقد ساعده هذا الأمر على الخروج من التقليد والاجترار والانغماس في
الثرثرة إبان السبعينيات.

فالصوفية كتجربة شعرية عند الجيل الجديد شكلت لديهم طريقة
للعودة إلى الأصل وحقلا واسعا يمددهم بصور جديدة و جماليات مختلفة تعيد
شعرية الشعر ، لذا فإن " محاولة التثبيت بالتصرف كمفهوم فلسفي و فكري
وإبداعي في خطابنا الشعري العربي المعاصر ، هي محاولة واعية للعودة
إلى الذات ، واستكناه مواطن القوة في فكرنا وعقيدتنا وجماليات القول الفني "

(17)

- أسباب التغييرات :

من هنا تأكد أن النص الشعري الجزائري قد تأثر بعوامل كثيرة
جعلته يحيد عن النظام القديم ويعمل جاهدا على تجاوزه وذلك ليس رفضا لهذا
القديم وإنما حبا في التجديد والتغيير من أجل البحث عن الجديد المتجدد
بالظروف التي ينمو و يترعرع فيها .
و من بين هذه التأثيرات :

- 1- التأثير بالتيلر الصوفي القديم بقالب مستحدث.
- 2- البحث عن التغيير من أجل التماشي مع الواقع " قضية الإلتزام الشعري "
- 3- التأثر بالكتابات الغربية و كذا العربية المشرقية والتأثر بالتقنيات الحديثة
والمعلصرة في كتابة القصائد.

هذه الدعوة إلى التجديد كانت بالنسبة لهم عبارة عن مجازفة
يسعون من خلالها إلى الإبحار في عوالم النور والتحديث.
والمنحنى الآتي يلخص ما قلناه سالفًا

فمن خلال هذا الرسم نجد أن التغيير والتجديد في حالة تقدم مستمر على يد الجيل الجديد الذي حمل على عاتقه لواء التطور والتحديث من أجل تجاوز المألوف المتداول للتميز والتفرد.

إن التطور الملحوظ في القصيدة الجزائرية المعاصرة من ناحية البنية الأدبية أدى بدوره إلى تطور اللغة والصورة الأدبية نتيجة تنوع ثقافات هذا الشاعر المعاصر وإطلاعه على نماذج شرقية و غربية متطورة ساعدته كثيرا.

فرغم اختلاف القوالب الشعرية ما بين العمودية والحرية إلا أنها تشترك في التعبير عن نفسية الشاعر اتجاه القضايا الوطنية والإنسانية وقضايا الأمة الإسلامية لاسيما النص الشعري الجزائري الذي " خرج عن كثير من التقاليد التي كانت تحكمه في شكله ومضمونه " (18) حيث أبدع الجيل الجديد لنفسه أشكالاً جديدة بتجارب حديثة تناسب عصره و واقعه والمنتبع لخطوات الشعر الجزائري المعاصر عبر الفترات الزمنية السابقة الذكر يجد ارتباط الشاعر بواقعه أصبح أمراً محتوماً و ذلك بنزعه الإلتزامية أمام نفسه وأمام واقعه و محيطه ، فقد أصبح الشاعر مؤدجاً لمطالب الجماهير الكادحة في خلق وسائلها التي تعبر بها عن طموحها الروحي والثقافي ، فهو اللسان الخطيب على أفواه تلك الجماهير يستجيب لآلامها و لأفراحها.

لهذا وجدنا حضور الكثير من المواضيع التي أصبحت من مستلزمات الواقع يجب الخوض فيها مثل القضية الفلسطينية والعروبة وقضايا أخرى جعلت العلاقة بين الأداء الشعري والموقف الاجتماعي والإسلامي علاقة متينة.

ومن بين أهم هذه الموضوعات التي وثقت هذه العلاقة ما يلي :

* شعر الطبيعة :

فقد تناول الشاعر القديم هذه الطبيعة للتعبير عن إحساسه و مشاعره واصفاً بذلك مظاهرها المختلفة من أمطار و رياح و سحب ... إلا أنها الآن أصبحت هي التي تصف هذا الشاعر مما جعلها رمزا صوفيا يعمل به للوصول إلى الذات و تحقيق الوجود حيث اهتم بها هذا الجيل وأعطاه صبغة إنسانية متخذاً من نماذجها حالة شعورية وتأملية تتقاطع مع مستواه الفكري والموضوعي، ويعتبر الشاعر " يوسف و غليسي " نموذجا لهذا الجيل فقد وظف هذا العنصر بقوة من خلال مكوناته الأساسية " الريح ، الشمس ، النخلة ، الصفصافة .. " من أجل التعبير عن الذات وبذلك التعبير عن الآخر الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من ذات المبدع المعاصر .

ويتجلى ذلك بقوله في " تراجيديات الزمن البغدادي " :

**أقسمت أن تروق الصحراء في وطني وأن تلوح نجوم في دياجينا !
الريح تصف والصفصاف يرتعد والرعد يقصف والأجواء تنقلب (19)
و كذلك في " تجليات نبي سقط من الموت سهوا " حيث قال :
واقفا أستعيد بقايا الجراح
في خريف الهوى عند مفترق النكريات
كصفصافة صعنت خدها للرياح !**

مدحض و مليم ، فأى رياح ستحملني للسماء ؟ ! (20)

نجد أن الريح في التوظيف الأول والثاني تعبير عن الأيدي الخفية الدنيئة التي أرادت إلحاق الأذى بهذه الصفصافة المعبرة عن الوطن و أصالة روح الشعب الجزائري . فالشاعر هنا و من خلاله الشعب الجزائري - حزين

متوجع لما أُل إليه وطنه من صراعات ونزاعات من أجل الذات والمصالح الخاصة.

كما أننا وجدنا توظيفاً آخر لهذه الطبيعة على أنها تعبير عن صمود الشعب الجزائري وتحديه للمصاعب والأمواج العاتية وذلك في قصيدته "إعصار".

تقسم لي العاصفة الشتوية
بالرياح وبالأمواج وبالغيم الممطر ...
بالرياح وبالأمواج وبالغيم الممطر ...
إن الأشجار لفي خســــر
إلا ما آمن بالجنر الضارب
في الأعماق
وتواصى باللون الأخضر ! (21)

هذا الإعصار والعاصفة الشتوية مع الريح الفعال سيعملون على التغيير و غسل غبار الظلام بالغيم الممطر محافظين وباعثين للون الأخضر لون الأمل والمستقبل الزاهي المشرق.

*الشعر الصوفي :

إن التجربة الصوفية تجربة لغوية متميزة ومتفردة خاصة بكل شاعر ، فهي تنطلق من دخائل هذه التجربة لتصل إلى النورانية المرجوة ، فقد وضع الجيل الجديد هذه الآلية من أجل إحداث الدهشة في المتلقي وجعله يغوص مع الشاعر في تجربته الشعورية التي يريد من خلالها الوصول إلى الذات ، وقد جسد الشاعر " يوسف وغليسي " ذلك من خلال استحضار الكثير من الشخصيات الدينية – خاصة في مجموعته الثانية " تغريبة جعفر الطيار " أمثال " جعفر الطيار ، جموع الأنبياء " محمد – عيسى – يوسف " عليهم السلام – للتعبير عن المحنة السوداء لتلك العشرية وما عاناه الشعب من شتات و تغريب في الأوطان.

وحضور الجانب الديني كان لغرض الكشف والتنقيح عن ذات الشاعر المعذبة اليائسة لحال وطن عاش الوحدة والحب أثناء الثورة و بتحقيق الإستقلال ضاع حلم التواصل والإستمرارية ، وهي في الوقت نفسه ذات الشعب وروحه المعذبة الخائفة من المجهول.

إلا أن هذا الشعب الذي لم يرضى بالوضع الراهن حيث أراد التغيير من نبع حب الوطن وقوة الشخصية الوطنية ذلك من أجل إفشاء السلام والخير في كامل أرجاء الوطن لقول شاعرنا " يوسف وغليسي " في " حلول " :

أنا أنت وأنت أنا !
أهواك لأنني منك ،،
وإنك مني
أنا حلاج الزمن
لكن ،،
ما في الجبنة
إلاك يا وطني ! (22)

وكذلك قوله في " قدر " :

مهما أسافر في امتدادات

المعارج ،،

أو تضاريس القمـــــر ،،

لا بد من وطني

وإن طل السفر !... (23)

فليس غريبا إذن أن يكون الموروث الديني مصدرا أساسيا من المصادر التي عكف عليها شعراؤنا المعاصرون واستمدوا منها شخصيات تراثية عبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة.

* شعر المرأة :

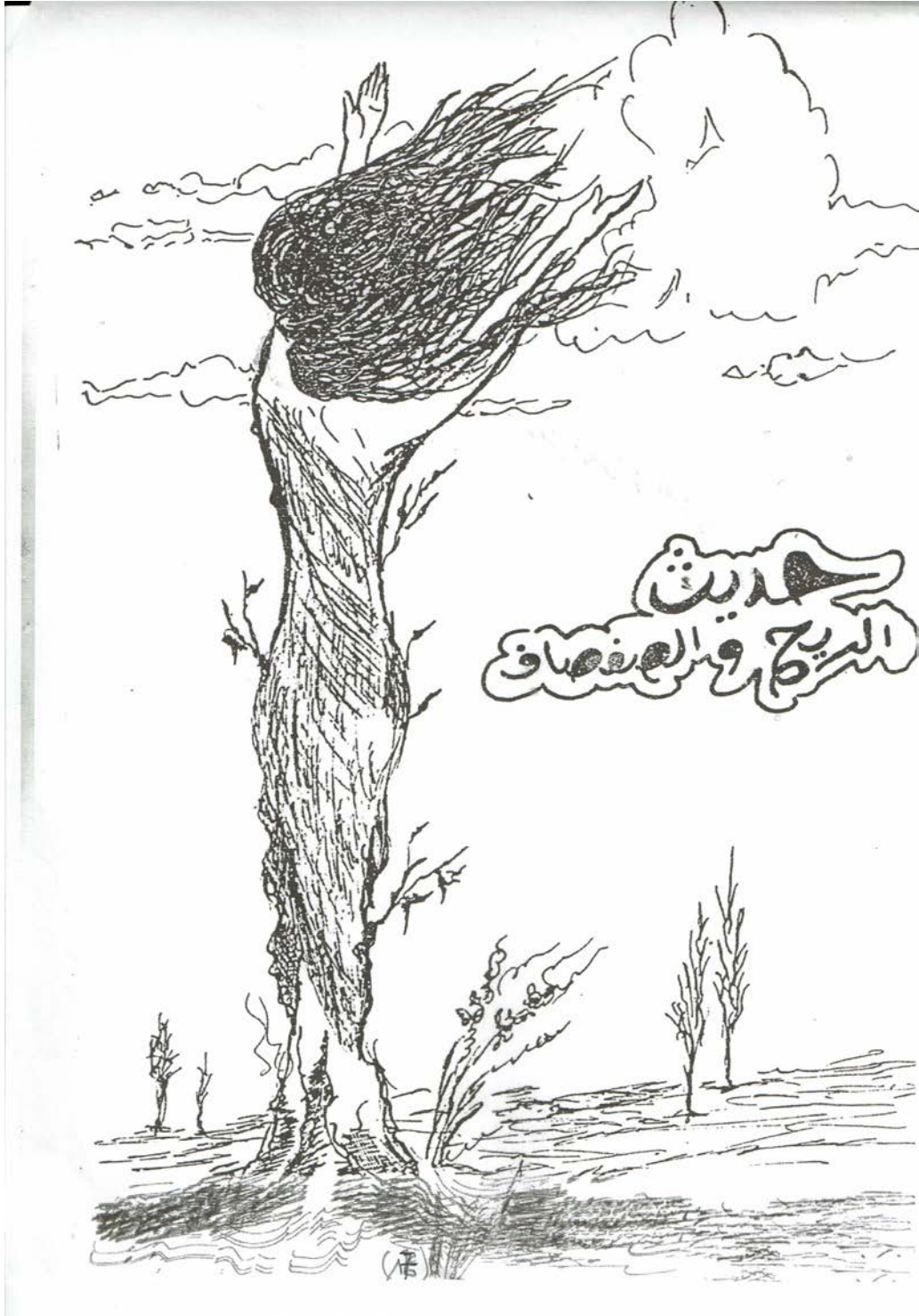
لو تصفحنا تاريخ حضور المرأة في الشعر العربي لوجدناها حاضرة بقوة في النصوص الشعرية الجزائرية، حيث تمثل الجانب الحسي الجمالي المادي الذي يثير غريزة الرجل ، لهذا قام و وصفها في أشعاره لما تحمله من جمال جسدي و روعي إلا أن أصبحت في الشعر الحالي رمزا صوفيا يتوحد فيه الشاعر مع الذات الإلهية وكأنها حبل وصال ما بين الشاعر والدرجة النورانية التي يريد أن يرتقي إليها.

فالشاعر في حديثه عن الأنثى بمختلف أدوارها " أم – أخت – زوجة – بنت .." يجسد حالة انفصال عن العالم الأرضي (المادي) ليتعلق بالعالم اللامرئي فهي الحلم الواعد والتوحد المطلق والسمو على الواقع (بعد باطني لا مرئي) إلى جانب عيونها التي تغزل بها الشاعر (بعد ظاهري مرئي) (24)

فالشاعر بصفة عامة عندما يهرب للمرأة إنما يعبر عن نفسه المنكسرة والمتوجهة من واقعه المعاش لهذا يحب أن يعيش الطهارة والحب النقي مع هذه الأنثى داخل تجربته الشعرية ، كما صور بها روحه المتمردة الراضة للوضع الراهن والتصميم والصمود أمام الرياح العاتية.

والصور أصدق تعبيراً على أن هذه الصفصافة ذات إمراة تحاول أن تصمد أمام الريح فهي منجاة إلهية على أن يفك أسرى أرواح أبنائها المقيدون بالظلم والظلال.

لهذا وجدناه شبه الوطن بالأم الحنون التي تجتاح أولادها للصد والرد على الهجمات الخارجية وكذا الداخلية.



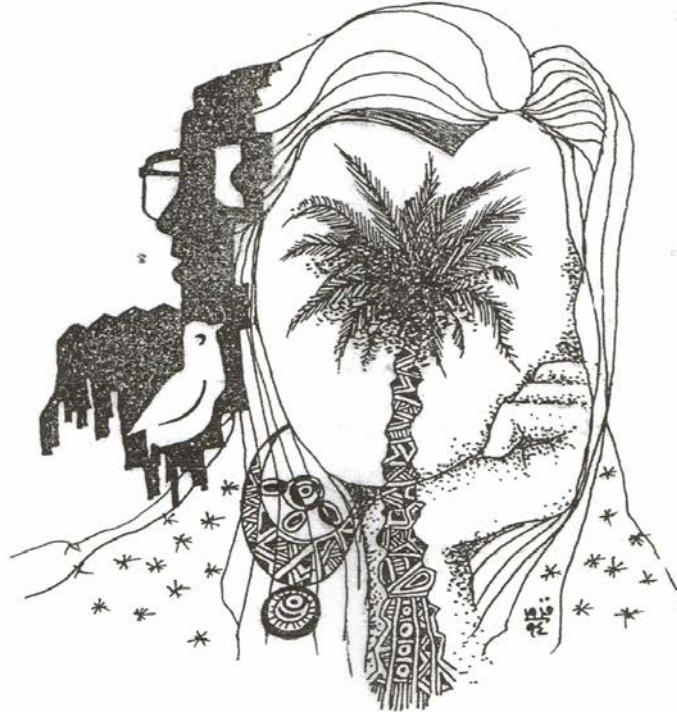
وقوله كذلك في قصيدة "تساؤل" :

تساعل أبناء أمي حيارى

غداة رأونا ندافع عن عرضها ! (25)

فالمرأة هي الحب ، هي الحنان هي الصدق والعتاء ، هذه الأحاسيس التي يبحث عنها كل فرد جزائري يريد السلم والسلام لوطنه الأم.
أما إذا عرجنا إلى قصيدته " أنا و زليخة و موسم الهجرة إلى بسكرة " من مجموعته الأولى أوجاع صفصافة في موسم الإعصار " نجد أن التشكيل الفني لها كان أصدق تعبير من الكلمات.

أنا
وزليخة
وموسم الهجرة إلى بسكرة



(١٨٢)

هذه زليخة التي نجدها حائرة تضع يدها على خذها وحمامة بيضاء أمامها و نخلة في وجهها ، فهي تبحث عن من يرشدها للسلام والخير لأنها امرأة أصيلة حرة كالنخلة ، وهي التي ناضلت وجابهت المستعمر بكل قواها فكيف لها الآن أن تحيا النزاع والخيانة ؟ وأن تعيش في بركة دماء أبنائها الأبرياء ؟.

كما نجد حديثه عن المرأة في قصيدته " حورية " وهو اسم أراد من خلاله الحديث عن الوطن حيث شبه هذا الوطن بامرأة يعشقها لحد الجنون حتى أنه تمنى أنه لم يكن لعذابه الشديد بسبب هذا الحب الجنوني ، فالمرأة هنا تقلدت قلادة الوطن المحبوب والمعشوق من قبل أبنائه الأوفياء حيث وجدناه يقول :

**أهديتها مهج العشاق كلهم وقلدتني وسام " العاشق اللدني !
يا أنت ! يا أنت الهوى و "الطور " في سفري ليت الهوى كان أو ليت لم**

أكن !.. (26)

كما أننا نجد نفس المشهد في قصيدته " لا " حيث شبه الوطن بامرأة تحاول أن تهجر حبيبها غصبا وهذا حقيقة ما حدث للكثير من العقول الواعية التي وجدت نفسها غريبة مقربة في وطن مسه السوء والنزاع بين أفرادها في عشيرة سوداء خلفت الكثير من المآسي والأوجاع حتى أدت إلى معاناة نفوس ضاعت بين أطماع دامية حقيرة. وذلك في قوله :

إيه يا نجمتي الشاردة :

أنا لا أرتضي

أن تهاجر نحوي - صباح مساء -

ألوان النساء ،

وتهجرني - طيلة العمر - امرأة

واحدة ! (27)

يجسد هذا المقطع الشعري حالة من الفلق والاضطراب النفسي الذي يعانيه الشاعر جراء صنوف المتاعب والأهوال التي يلاقيها ،وعليه ينعكس ذلك على حالته النفسية فلم يعد بمقدوره التفريق بين ما هو إيجابي وسلبى ،ولهذا يقول أنا لا أرتضي أن تهاجر نحوي ألوان النساء ، ثم يختم هذا المقطع بقوله تهجرني طيلة العمر امرأة واحدة ، وهذا المقطع يعكس الجانب النفسي المتوتر لدى الشاعر.

*** قضايا اجتماعية وإنسانية أخرى :**

إن الشاعر هو الكاشف المتحسس لمشكلات الحياة وقضايا الإنسان من حوله ، يتأثر بها فتثار ليصبح لسان مجتمعه و أمته يعالج المفاصل والعوائق من أجل سعادة الإنسان وحرية،فهو يعيش بضميره مع الآخر يحس به ، يفرح لأفراحه و يحزن لأحزانه لهذا وجدنا طابع الحزن والألم يطغو على الشعر المعاصر لأنه واقعي ملتزم بقضايا مجتمعه وأمته.

فارتبط الشعر بضرورة النضال منذ حلول الغزو والاستعمار في بلادنا و ذلك من أجل التحرر وإثبات الذات المتمثلة في الأصالة العربية ، لهذا ظهرت أشعار ثورية نضالية ويعتبر " مفدي زكريا " الرائد الأول لها مع جماعة أخرى كـ " صالح باوية " و " محمد العيد آل خليفة " وغيرهم امتازوا بنزعة ثورية قوية كان وقعها وقع الرصاص و أصعب منه.

وإلى جانب هذا تغنى الشاعر الجزائري بعروبته منذ الثورة وذلك لإصرار الطرف الآخر على أن الجزائر قطعة فرنسية زاد من الجموح والإلحاح على الآليات

والقوافي بعمق، فهو "لم ينس -رغم المحن والآلام التي مرت به وبوطنه-عروبته ولا قضايا وطنه الكبير " (28)

فقد حاولت فرنسا أن تلغي شخصية الجزائري و عروبته من خلال الأكاذيب والتمويهات حتى منعت الدراسة باللغة العربية إلا نادرا لهذا نجد المشرق العربي كان يجهل الكثير عن الجزائر بسبب التعقيم والدعاية الفرنسية وكذا عدم اهتمامهم بالمغرب العربي.

إلا أن الشاعر الجزائري استطاع أن يثبت ذاته وعروبته من خلال أقلامه صاحبة الإرادة الفولاذية واستمر هذا إلى الجيل الجديد على لسان هؤلاء المبدعين لقول " يوسف و غليسي " في " **تغريبة جعفر الطيار** "

أهلا و سهلا بالفتى العربي (29)

وكذلك في " **تجليات** " :

إنني العربيُّ الشهيد الذي لم يمِت (30)

والعربيُّ: نسبة لعروبته و بربريته المغاربية.

فهو هنا يتحدث من باب قوميته و وطنيته للتأكيد ومن خلاله على أن الشعب الجزائري جزء لا يتجزأ من الوطن العربي فهو "يرد على دعاة التفرفة ويرد على أولئك الذين يقصدون فصل الجزائر عن باقي الأمة العربية من استعماريين وإقليميين ومن إليهم ممن لا يحمل حسا قوميا عربيا"(31)

ومما زاد من قوميته حضور القضية الفلسطينية ، فهي قضية الحاضر المؤلم والصراع الأبدي مع اليهود "ولسنا في حاجة إلى أن نعدد الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر منذ فجر التاريخ العربي حتى الآن ،كما أننا لا نحتاج إلى أن نضرب أمثلة للمقارنة بين حالة الجزائر وحالة فلسطين ،فكلا البلدين عرف الاستعمار وعرف الإرهاب بشتى صورته وعرف الإذابة في جنس آخر، وعرف ما هو أخطر من هذا "(32).

فالشعر القومي من أهم الأسلحة المقاومة لشحن الشعور بالعزة والكرامة وحمل النفوس الأبية على الثورة ضد المستعمر الطاغية على النطاق الوطني أو القومي فأمتزج بذلك الشعور النائر ضد كل مستبد يحب الوطن والتمسك بالمقومات القومية ، مما جعله صاحب فكر ملتزم و مرشد اجتماعي بحمله لواء الإصلاح والإرشاد برفع المفاسد والمناكر من خلال عقيدته المحبة للخير والسلام وكذا الإقتداء بالسلف الصالح سواء على النطاق الوطني أو القومي.

وفي الأخير نخلص إلى القول أن الشعر الجزائري قد واكب مختلف التغيرات الاجتماعية و السياسية والثقافية التي شهدت الجزائر خاصة وبعض الأقطار العربية عامة وهذا ما انعكس في التجربة الشعرية الجزائرية المعاصرة ،حيث أخضعت هذه التجارب إلى بروز جيل جديد من الشباب حمل على عاتقه الأداء الشعري بوصفه وسيلة فنية يعبر من خلالها عن أنماط الحياة الخاصة و العامة ، وقد جاءت هذه الأشعار مجسدة لمشاعر الإنسان العاطفية وطموحاته السياسية ولعل ما عبر عنه الشاعر "يوسف و غليسي" كان انعكاسا صادقا لروح الشباب وتجسيدا لجيل جديد في الجزائر يواكب التطور الحاصل في البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية الجزائرية .

- المصانير والمراجع :

- المصادر :

- 1- يوسف وغليسي : أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار ، (شعر) ، دار الهدى ، ط 1، 1995 م.
- 1- يوسف وغليسي : تغريبة جعفر الطيار ، (شعر) ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين فرع سكيكدة ، 2000م.

- المراجع

- 1- عبد القادر فيدوح : الرؤيا والتأويل ، مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة ، دار الوصال ، الجزائر ، ط 1 ، 1994 .
- 2- عبد الحميد هيمة : البنيان الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر ، شعر الشباب نموذجا ، دار هومة ، الجزائر ، ط 1 ، 1998م.
- 3- عبد الله ركيبي : قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر ، دار الكتاب العربي للنشر والطباعة .
- 4- عمر أحمد بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر - الشعر وسياق المتغير الحضاري - دار الهدى ، عين مليلة - الجزائر .
- 5- محمد كعوان : شعرية الرؤيا وأفقية التأويل ، دراسات في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، دار هومة الجزائر ، ط 1 ، 2003 م.

- الكتب الأجنبية والمترجمة

- 1- فردينا ندي سوسير : محاضرات في علم اللسان العام ، ترجمة عبد القادر فنيقي مراجعة أحمد حبس ، الدار البيضاء ، إفريقيا الشرق ، 1987 م .

- الرسائل الجامعية :

- 1- فاطمة سعدود : جماليات الخطاب الشعري في " معراج السنونو " ، لأحمد عبد الكريم ، أطروحة ماجستير في الأدب الحديث والمعاصر ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة - الجزائر ، 2007-2008 م .

-الهوامش:

- 1- فردينان دي سوسيرة محاضرات في علم اللسان العام ، ترجمة : عبد القادر فنيقي ، مراجعة : أحمد حسني ، الدار البيضاء ، إفريقيا الشرق ، 1987 م ، ص 96.
- 2- م ن ، ص 97.
- 3- فاردينان دي سوسير : م س . ص 98.
- 4- م ن . ص 99.
- 5- م ن . ص 100.
- 6- فردينا ندي سوسير : م س ، ص 101
- 7- محمد كعوان : شعرية الرؤيا أفقية التأويل ، دراسات في لحظات الشعر الجزائري المعاصر ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، دار هوسة ، ط 1 ، السنة 2003 ، ص 17.
- 8- عبد القادر فيدوح : الرؤيا والتأويل (مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة) ، دار الوصال ، الجزائر ، ط (1) ، 1994 ، ص 3.
- 9- عبد الحميد هيمة : البنية الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر (شعر الشباب نموذجا) ، مطبعة هومة الجزائر ، ط 1 ، 1998 ، ص 09.

- 10- فاطمة سعدون : جماليات الخطاب الشعري في " معراج السنونو " لأحمد عبد الكريم ، ماجستير في الأدب الحديث والمعاصر ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، 2007-2008 م ، ص 4.
- 11- م ن ، ص 4-5
- 12- محمد كعوان : شعرية الرؤيا وأفقية التأويل ، ص 22.
- 13- محمد كعوان : الرؤيا الشعرية و أفقية التأويل ، ص 20
- 14- م ن ، ص ن.
- 15- عمر أحمد بوقرورة: دراسات الشعر الجزائري المعاصر-الشعر وسياق المتغير الحضاري- دار الهدى ، عين مليلة الجزائر ، ص 97،98.
- 16- م ن : ص 101،102.
- 17- محمد كعوان : الرمز الصوفي في الخطاب الشعري العربي المعاصر و فعاليات التجاوز. دكتوراه دولة في الأدب العربي الحديث ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، 2005-2006 ص "ب" من المقدمة.
- 18- عبد الحميد هيمة : البيان الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر ، (شعر الشباب نموذجاً) ، مطبعة هومة ، الجزائر ، ط 1 ، 1998 م ، ص 108-109.
- 19- يوسف و غليسي : أوضاع صفاقة في مواسم الإعمار : مجموعة الشعرية الأولى (1989-1994) دار إبداع ، ط (1) ، 1995 ، ص 41-42.
- 20- يوسف و غليسي : تغريبة جعفر الطيار ، مجموعة شعرية ، إتحاد الكتاب الجزائريين فرع سكيكدة ط (1) ، ص 14.
- 21- م ن ، ص 65
- 22- يوسف و غليسي : تغريبة جعفر الطيار ، مجموعة شعرية ، ص 61.
- 23- يوسف و غليسي : تغريبة جعفر الطيار ، مجموعة شعرية، ص 64.
- 24- عبد الحميد لهيمة : البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر ، ص 103.
- 25- يوسف و غليسي : تغريبة جعفر الطيار ، ص 68.
- 26- يوسف و غليسي : تغريبة جعفر الطيار ، ص 51.
- 27- م ن ، ص 58
- 28- عبد الله ركيبي: قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي للنشر والطباعة ، ص 26.
- 29- يوسف و غليسي : تغريبة جعفر الطيار ، ص 44.
- 30- يوسف و غليسي : تغريبة جعفر الطيار ، ص 33.
- 31- عبد الله ركيبي : قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر ، ص 27 .
- 32- م ن : ص 47،48 .